



من كتاب مدارج السالكين

للإمام ابن القيم

اعتنى به

مصطفى العقاد

بإشراف





عادل محمد

إمام وخطيب بالأوقاف



أَمَّا بَعْدُ:

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَأَحْسَنَ الْهُدَى هُدَى مُحَمَّدٍ وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا، وَكُلَّ مُحَدَّثَةٍ بَدْعَةٌ، وَكُلَّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

أَمَّا بَعْدُ: فالمتتبع للتاريخ الإسلامي يرى أن كلَّ بليةٍ نزلت بالإسلام إنما هي من جهة المنافقين... سودوا صفحات التاريخ سوداً الله وجوههم... فمن جرثومة الشر «ابن أبي» الذي طالما أدخل الحُزنَ على رسولِ الله ج وجنى على خلقٍ كثيرين من أتباعه... إلى «ابن سبأ»... الساعي بخبثه بين الصحابة الأخير حتى أوقع الفتنة بين بعضهم... وأسس الطائفة التي جمعت زي الإسلام على قلوب المجوس فأذاقت - وما زالت - تذييق أمة الإسلام ألوان

الكيد... إلى بعض الأمراء أيام الصليبيين، وفي عهد ملوك الطوائف بالأندلس... من تلبسوا بصفات المنافقين فحادوا عن حكم الله، ووالوا أعداء الله، وكذبوا على رعيّتهم، وعطلوا الجهاد في سبيل الله... فذلت الأمة على أيديهم وتمزقت وأريق دمها وسُيِّت... إلى «ابن العلقمي»... الذي أيدّ التترَ ومرقّ من الدين، وأذاق المسلمين العلقم... إلى «النصير الطوسي» وزير هولاءكو ومنجمه والأمر بقتل خليفة المسلمين... إلى جمعيات النفاق التي أوهنت الدولة العثمانية... فكانت ثمرة الخداع إلغاء الخلافة وجعل المسلمين أيتامًا على موائد اللئام.

ولا يزالُ المنافقون يتوارثون راية النفاق جيلًا بعد جيل، تلك الراهية التي تعلو كلما قوي المسلمون، فإذا دبّ

الضعفُ في جسدِ الأمةِ وتسابقتْ إليها الأدواءُ، وتوانثبتْ عليها الأعداءُ، نُكِسَتْ رايَةُ النفاقِ، ورُفِعَتْ رايَةُ المُجاهرَةِ.

وهكذا يفعلُ «أفراخُ اللادينيةِ العالمانيةِ والليبراليةِ» الذين إذا أُجذبَ بهم الزمانُ زاروا المساجدَ يومَ الجمعةِ، فإذا أخصبُوا أصروا على إشاعةِ الفاحشةِ في الذين آمنوا، وقالوا: «لا دخل للدين في حياتنا»، «تحكيم الشريعة ردة إلى العصور الوسطى»، «من اصطحبَ إسلامه خارجَ المسجدِ فلا يلومنَّ إلا نفسه»، «أنتم أتباعُ أبي جهلٍ تعيقون مسيرةَ التقدمِ والإصلاحِ»!! والحقيقةُ أن المنافقين - كعادتهم - يعانون من

« انفصام عن الواقع بين Inseparable from reality » حملاتهمُ الظالمةِ على الإسلامِ، وبين مكانةِ الشريعةِ في قلوبِ المصريين - ليس في المسجدِ فحسب - بل رضاهم بالإسلامِ ديناً يُنظَمُ شؤونَ حياتهم، وإن نَفَثَتْ سموهُ أقلامُ المنافقين للبعثِ إلا أن مصرَ بعد الثورة بدأت تميزُ عدوها من صديقها، ولم تعد حملاتِ الترهيبِ الإعلاميةِ، والمصطلحاتِ، والشعاراتِ





البراقة، والدعاوى الجوفاء تصلح لتلميع الشخص أو الأُطروحات .



[* □ □ □ □] [يوسف: 21]

[لنحذرهم.. بعضهم من بعض، د. محمد ظافر الشهري، مجلة *]
البيان عدد 82 ص111، هذا النفاق فاحذروه.. إياك قنبيي،
بتصرف.





| نُبذة عن حياة ابن القيم |

هو الفقيه الأصولي، المفسرُ النحوي، مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ بْنُ أَيُّوبِ بْنِ سَعْدِ الزُّرْعِيِّ الدَّمَشْقِيِّ - أَبُو عَبْدِ اللَّهِ - شمس الدين ابن قيم الجوزية.

وُلِدَ بمدينة دمشق في السابع من شهر صفر الخير سنة (691هـ - 1292م)، ونشأ في كنف والده، ودرس على عددٍ من أهل العلم بعدما حفظ القرآنَ وسمع حديثَ النبي ج وتفقه بمذهب الحنابلة حتى برع فيه، وأفتى، وتفنن في علوم الإسلام، تفسيراً وحديثاً، وعقيدة وعربية، وسلوكاً، وفقهاً وطباً، وغير ذلك.

تَلَمَّذَ ابنُ القيم على أكثر من ١٣٠ من عاصره كوالده قيم



الجوزية، وابن مكتوم، وابن عبد الدائم، والمجد الحرائى -
 شيخ الحنابلة -وقد نفعه الله كثيراً بشيخ الإسلام ابن تيمية :
 فصاحبه ستة عشر عاماً حتى أضحى أبرز تلاميذه
 وأشهرهم، بعد أن كان سبباً في هدايته من مزالقي المذاهب
 الفاسدة، وقد لازمه حضراً وسفراً وسجناً، حتى سُجِنَ معه
 في سجن القلعة بدمشق سنة (726هـ) إلى وفاة شيخه سنة
 (728هـ) حيث خرج بعدها.

ومن أشهر تلامذته: ابن رجب، وابن كثير، والذهبي،
 وابن عبد الهادي، والفيروز آبادي.

كان : حسنَ الخلق، محبوبًا عند الناس، ذا عبادة وتهجد وطول صلاة، ولهج بالذكر، وحج مراتٍ كثيرة، وجاور بمكة، وكان أهل مكة يذكرون عنه من شدة العبادة وكثرة الطواف أمرًا يُتَعَجَّبُ منه.

ومن مؤلفاته: حادى الأرواح فى بلاد الأفراح – طريق الهجرتين وباب السعادتين – إعلام الموقعين عن رب العالمين – اجتماع الجيوش الإسلامية على محاربة المعطلة والجهمية – تحفة المودود فى أحكام المولود – أحكام أهل الذمة – الطب النبوى – الوايل الصيب من الكلم الطيب – زاد المعاد فى هدى خير العباد – الفوائد – التبيان فى أقسام القرآن ...

ومن عيون ما كتب وألف كتاب «مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين» - ومنه نقلنا - وهو عملٌ فذٌّ، غزيرُ المنفعة، بليغُ العبارة، فيه من دقَّة استخراج المعاني الإيمانية، ولطفِ الإشاراتِ القلبية ما ليس في غيره، وهو من خير ما كتبَ في تصفية الأرواح، وتقوية وتهذيب النفوسِ والأخلاق، وتركيبِ القلوب وترقيقها، والتأدبِ بآداب المتقين الصادقين، والكشفِ النفسي للطبيعة البشرية ونوازعها في مراحل الإيمان المختلفة، وتبسيطِ طريقِ المعرفة في معاملة الله في عبادته، ومعاملة الناس في السلوك معهم، ومعاملة النفس بكشف أهوائها ونوازعها وتخليصها من الغرق في طوفانِ المادة وإنقاذها من التعلق بها وتعليقِ النجاح بأذيالها. فالكتابُ منهجٌ متكاملٌ لمادة الأخلاق الإسلامية، ومنهجٌ إضافيٌّ لمادة العقيدة.

وقد أجادَّ : وأفادَّ في وصفِ الشخصيةِ النفاقية، وبيان علامتها ودوافعها، وتحذير المؤمنين من الوقوع في فخاخها

تُوفى : فى دمشق سنة (751 هـ - 1350 م) وصلى عليه فى الجامع الأموي ثم بجامع جراح وقد ازدحم الناسُ [* للصلاة عليه]

[نيل طبقات الحنابلة لابن رجب، ط العبيكان بتصريف، ابن القيم *]
الجوزية حياته آثاره موارد العلامة بكر أبو زيد :، ط دار
العاصمة.



قال ابن القيم ::

فَصْلُ النِّفَاقِ [1]

وَأَمَّا النِّفَاقُ [2]: فَالِدَاءُ الْعُضَالِ الْبَاطِنُ،

[ذكر ابن القيم : النفاق في معرض الحديث عن منزلة 1]
 التوبة، وأجناس ما يتأب منه، ولا يستحق العبدُ اسمَ «التائب»
 حتى يتخلصَ منها، وهي اثنا عشر جنسًا مذكورة في كتاب الله
 ، هي أجناس المحرمات: الكفر، والشرك، والنفاق، والفسوق،
 والعصيان، والإثم، والعدوان، والفحشاء، والمنكر، والبغي،
 والقول على الله بلا علم، واتباع غير سبيل المؤمنين. [مدارج
 السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (1/354-367) ط : دار
 الكتاب العربي]

[اختلف أهل اللغة في أصل النفاق: 2]

=

* فقيل: مأخوذ من النفق، وهو السَّرْبُ في الأرض الذي يُسْتَنَرُ فيه؛ لأن المنافقَ يستر كفره ويغيبه، فتشبه بالذي يدخل النفق يستتر فيه.

* وقيل: مأخوذ من نفاق، والنفاق موضع يرفقه اليربوعُ من جره، وَهُوَ الَّذِي يَخْرُجُ مِنْهُ كَثِيرًا وَيَدْخُلُ مِنْهُ كَثِيرًا، فإذا أتى من قِبَلِ القاصعاء [سمي بذلك لِأَنَّهُ يَخْرُجُ تُرَابَ الجُحْرِ ثُمَّ يَقْصَعُ بِبَعْضِهِ، كَأَنَّهُ يَسُدُّ بِهِ فَمَ الجُحْرِ، وَمِنْهُ يُقَالُ: جُرْحُ فلانٍ قَدْ قَصَعَ بِالدَّمِ: إِذَا امْتَلَأَ وَلَمْ يَسِلْ] ضرب النفاق برأسه فانفق، أي: خرج، ومنه اشتقاق النفاق؛ لِأَنَّ صاحِبَهُ يَكْتُمُ خِلافَ ما يُظْهِرُ، فَكأنَّ الإِيمانَ يَخْرُجُ مِنْهُ، أو يَخْرُجُ هو من الإِيمانِ في خفاء.

[معجم مقاييس اللغة لابن فارس 455/5، مادة: (ن ف ق) بتصرف وإضافة]

ولعل النسبة إلى نفاق اليربوع أرجح من النسبة إلى النفق؛ لأن

=

=

النفقَ ليس فيه إظهار شيء، وإبطان شيء آخر، كما هو الحال في النفاق.

والحاصل: أن الذي يتحقق فيه الشبه الكامل بين النفاق والنفاق أمور ثلاثة:

* **الأول:** أنه يدخل في الإسلام باللفظ ويخرج منه بالعقد، كما يدخل اليربوع من باب ويخرج من باب.

* **الثاني:** أنه يستر كفره كما يستتر اليربوع.

* **الثالث:** أنه يظهر غير ما يضمّر، كما أن ظاهر جحر اليربوع تُراب كالأرض وما تحته حفر.

[كشف المشكل من حديث الصحيحين لابن الجوزي 408/3]

- قال ابن القيم: «ولهذا سمي «منافقاً» أخذاً من نفاق اليربوع وهو بيت يحفره ويجعل له أسراباً مختلفة- وكلما طلب من

=

الَّذِي يَكُونُ الرَّجُلُ مُمْتَلِنًا مِنْهُ، وَهُوَ لَا يَشْعُرُ، فَإِنَّهُ أَمْرٌ خَفِيٌّ
عَلَى النَّاسِ، وَكَثِيرًا مَا يَخْفَى عَلَى مَنْ تَلَبَّسَ بِهِ، فَيَزْعُمُ أَنَّهُ
مُصْلِحٌ وَهُوَ مُفْسِدٌ.

=

سَرَبٍ خَرَجَ مِنْ سَرَبٍ آخَرَ، فَلَا يَتِمَكَّنُ طَالِبُهُ مِنْ حَصْرِهِ فِي
سَرَبٍ وَاحِدٍ... فَأَنْتَ مِنْهُ كَقَبْضٍ عَلَى الْمَاءِ، لَيْسَ مَعَكَ مِنْهُ
شَيْءٌ».

[طريق الهجرتين وباب السعادتين 787/2 بتصرف يسير]

- وَقَالَ ابْنُ رَجَبٍ :: « وَالَّذِي فَسَّرَهُ بِهِ أَهْلُ الْعِلْمِ الْمُعْتَبَرُونَ أَنَّ
النَّفَاقَ فِي اللُّغَةِ هُوَ مِنْ جِنْسِ الْخِدَاعِ وَالْمَكْرِ وَإِظْهَارِ الْخَيْرِ
وَإِبْطَانِ خِلَافِهِ ». [جامع العلوم والحكم 481/2]

وَهُوَ نَوْعَانِ: أَكْبَرُ، وَأَصْغَرُ [1].

[ينقسم النفاق إلى قسمين: 1]

* **الأول: نفاق اعتقادي (أكبر):** وهو اختلاف السر والعلانية في الاعتقاد، فيظهرُ صاحبه الإسلام ويبطن الكفر، وهو الذي أنكره الله على المنافقين في القرآن، وأوجب لهم الدرك الأسفل من النار.

وقد يطلق بعض الفقهاء لفظ «الزنديق» على المنافق، كقول ابن القيم في بيان مراتب المكلفين في الدار الآخرة وطبقاتهم (الطبقة الخامسة عشرة): طبقة الزنادقة. وهم قومٌ أظهروا الإسلام ومتابعة الرسل، وأبطنوا الكفر ومعاداة الله ورسوله. وهؤلاء هم المنافقون، وهم في الدرك الأسفل من النار». [طريق المهجرتين [402

- ومن صور النفاق الأكبر:

=

- 1- تكذيب الرسول ج، أو تكذيب بعض ما جاء به.
- 2- بغض الرسول ج أو بغض ما جاء به.
- 3- المسرة بانخفاض دين الرسول ج، أو الكراهية بانتصار دين الرسول ج.
- 4- عدم اعتقاد وجوب تصديقه ج فيما أخبر.
- 5- عدم اعتقاد وجوب طاعته ج فيما أمر.
- 6- أذى الرسول ج أو عيبه ولمزه.
- 7- مظاهر الكافرين ومناصرتهم على المؤمنين.
- 8- الاستهزاء والسخرية بالمؤمنين لأجل إيمانهم وطاعتهم لله ولسوله.

=

9- التولي والإعراض عن حكم الله وحكم رسوله ج.

فالوقوع في أي صفة من هذه الصفات يخرج من الملة، وهذه الصفات أكثرها متعلق بحق الرسول ج.

- يقول شيخ الإسلام: «... فالنفاق يقع كثيراً في حق الرسول ج، وهو أكثر ما ذكره الله في القرآن من نفاق المنافقين في حياته...».

[نواقض الإيمان الاعتقادية ص253 لمحمد الوهيبي، وانظر الإيمان الأوسط ص181، مجموعة التوحيد للشيخ محمد بن عبد الوهاب ص7]

* **الثاني: نفاق عملي (أصغر):** وهو اختلاف السر والعلانية في الأعمال كالرياء، فيظهرُ صاحبه في هذه الأعمال ما لا يبطن، مع صحة إسلامه وسلامة معتقده. فهو النفاق الذي لا يخرج من الملة.

ومن أبرز خصاله ما ثبت في الصحيحين عن أبي هريرة قال:

قال رسول الله ج: «آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلَاثٌ، إِذَا حَدَّثَ كَذَبًا، وَإِذَا
وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا ائْتَمِنَ خَانَ».

وفى الصحيحين عن عبد الله بن عمرو بآن النبي ج قال: «أَرْبَعٌ
مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا، وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ
كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنَ النِّفَاقِ حَتَّى يَدْعَهَا: إِذَا ائْتَمِنَ خَانَ، وَإِذَا
حَدَّثَ كَذَبًا، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ».

ومع أن هذه الخصال من النفاق الأصغر، لكنها قد تؤول إلى النفاق
الأكبر المخرج من الملة.

- قال ابن القيم: «فهذا نفاق عمل قد يجتمع مع أصل الإيمان
ولكن إذا استحکم وكمُل فقد ينسلخ صاحبه عن الإسلام بالكلية
وإن صلى وصام وزعم أنه مسلم؛ فإن الإيمان ينهى المؤمن عن
هذه الخلال فإذا كملت في العبد ولم يكن له ما ينهاه عن شيء
منها فهذا لا يكون إلا منافقًا خالصًا». [الصلاة وأحكام تاركها

فَالْأَكْبَرُ: يُوجِبُ الْخُلُودَ فِي النَّارِ فِي دَرَكِهَا الْأَسْفَلِ، وَهُوَ أَنْ يُظْهَرَ لِلْمُسْلِمِينَ إِيمَانَهُ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَهُوَ فِي الْبَاطِنِ مُنْسَلِخٌ مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ مُكَذِّبٌ بِهِ، لَا يُؤْمِنُ بِأَنَّ اللَّهَ تَكَلَّمَ بِكَلَامٍ أَنْزَلَهُ عَلَى بَشَرٍ جَعَلَهُ رَسُولًا لِلنَّاسِ، يَهْدِيهِمْ بِإِذْنِهِ، وَيُنذِرُهُمْ بِأَسْأَتِهِ، وَيَخَوْفُهُمْ عِقَابَهُ.

[ص6]

- يقول ابن رجب: « وَالنَّفَاقُ الْأَصْغَرُ وَسِيلَةٌ إِلَى النَّفَاقِ الْأَكْبَرِ، كَمَا أَنَّ الْمَعَاصِيَ بَرِيدُ الْكُفْرِ، وَكَمَا يُخْشَى عَلَى مَنْ أَصَرَ عَلَى الْمَعْصِيَةِ أَنْ يُسَلَبَ الْإِيمَانَ عِنْدَ الْمَوْتِ، كَذَلِكَ يُخْشَى عَلَى مَنْ أَصَرَ عَلَى خِصَالِ النَّفَاقِ أَنْ يُسَلَبَ الْإِيمَانَ فَيَصِيرَ مُنَافِقًا خَالِصًا ». [جامع العلوم والحكم 492، 493]

وَقَدْ هَتَكَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ أَسْتَارَ
 الْمُنَافِقِينَ، وَكَشَفَ أَسْرَارَهُمْ فِي الْقُرْآنِ، وَجَلَّى
 لِعِبَادِهِ أُمُورَهُمْ، لِيَكُونُوا مِنْهَا وَمِنْ أَهْلِهَا عَلَى حَذَرٍ، وَذَكَرَ
 طَوَائِفَ الْعَالَمِ الثَّلَاثَةِ فِي أَوَّلِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ: الْمُؤْمِنِينَ،
 وَالْكَفَّارَ، وَالْمُنَافِقِينَ، فَذَكَرَ فِي الْمُؤْمِنِينَ أَرْبَعَ آيَاتٍ، وَفِي
 الْكَفَّارِ آيَتَيْنِ، وَفِي الْمُنَافِقِينَ ثَلَاثَ عَشْرَةَ آيَةً، لِكَثْرَتِهِمْ
 وَعُمُومِ الْإِبْتِلَاءِ بِهِمْ، وَشِدَّةِ فِتْنَتِهِمْ عَلَى الْإِسْلَامِ وَأَهْلِيهِ،
 فَبَانَ بَلِيَّةَ الْإِسْلَامِ بِهِمْ شَدِيدَةً جِدًّا، لِأَنَّهُمْ مَنْسُوبُونَ إِلَيْهِ،
 وَالسِّي نُصْرَتِهِ وَمُؤَالَاتِهِ، وَهُمْ أَعْدَاؤُهُ فِي الْحَقِيقَةِ،
 يُخْرِجُونَ عِدَاوَتَهُ فِي كُلِّ قَلْبٍ يَظُنُّ الْجَاهِلُ أَنَّهُ عَلِمَ
 وَإِصْلَاحٍ، وَهُوَ غَايَةُ الْجَهْلِ وَالْإِفْسَادِ.

فَلِلَّهِ كَمِّ مِنْ مَعْقِلٍ لِلْإِسْلَامِ قَدْ هَدَمُوهُ؟ ! وَكَمِّ مِنْ حِصْنٍ
 لَهُ قَدْ قَلَعُوا أَسَاسَهُ وَخَرَّبُوهُ؟ ! وَكَمِّ مِنْ عَلَمٍ لَهُ قَدْ طَمَسُوهُ؟
 ! وَكَمِّ مِنْ لِيوَاءٍ لَهُ مَرْفُوعٍ قَدْ وَضَعُوهُ؟ ! وَكَمِّ ضَرْبُوا
 بِمَعَاوِلِ الشَّبَّهِ فِي أُصُولِ غَرَابِسِهِ لِيَقْلَعُوهَا؟ ! وَكَمِّ عَمَّوْا
 عُيُونَ مَوَارِدِهِمْ لِيَذْفُوْهَا وَيَقْطَعُوهَا؟ !

فَلَا يَزَالُ الْإِسْلَامُ وَأَهْلُهُ مِنْهُمْ فِي
 مِحْنَةٍ وَبَلِيَّةٍ، وَلَا يَزَالُ يَطْرُقُهُ مِنْ شُبَّهَمُ سَرِيَّةٌ
 بَعْدَ سَرِيَّةٍ، وَيَزْعُمُونَ أَنَّكَ مُصْلِحُونَ چ ڈ ن ن ن ن
 چ ڈ ن ن ن ن ن

[البقرة: 12]

چ د ت ن ن ن ن ن ن ن ن ن ن ن ن ن
 چ ڈ ن ن ن ن ن ن ن ن ن ن ن ن ن

[الصف: 8]

اتَّفَقُوا عَلَى مُفَارَقَةِ الْوَحْيِ^[1]، فَهُمْ
 عَلَى تَرْكِ الْإِهْتِدَاءِ بِهِ مُجْتَمِعُونَ چ و و و و و و و و و و
 [المؤمنون: 53]، چ چ چ ج ج ج چ و و و و و و و و و و

[1] شرع ابن القيم: فی سرِّ قبائح الشخصية النفاقية.

[الأنعام: 112] وَلِأَجْلِ ذَلِكَ **چ** **و** **و** **و** **و** **و** **و** **و** [الفرقان: 30].

دَرَسَتْ^[2] مَعَالِمُ الْإِيمَانِ فِي قُلُوبِهِمْ فَلْيَسُوا يَعْرِفُونَهَا، وَدَثَّرَتْ مَعَاهِدَهُ^[3] عِنْدَهُمْ فَلْيَسُوا يَعْمُرُونَهَا، وَأَقَلَّتْ كَوَاكِبُهُ النَّيِّرَةَ مِنْ قُلُوبِهِمْ فَلْيَسُوا يُحْيُونَهَا، وَكَسَفَتْ شَمْسُهُ عِنْدَ اجْتِمَاعِ ظُلْمِ آرَائِهِمْ وَأَفْكَارِهِمْ فَلْيَسُوا يُبْصِرُونَهَا، لَمْ يَقْبَلُوا هُدَى اللَّهِ الَّذِي أُرْسِلَ بِهِ رَسُولُهُ، وَلَمْ يَرْفَعُوا بِهِ رَأْسًا، وَلَمْ يَرَوْا بِالإِعْرَاضِ عِزَّهُ الإِلَهِيَّ وَأَفْكَارِهِمْ بِأَسَاءَ، خَلَعُوا نُصُوصَ الْوَحْيِ عَنِ سُلْطَنَةِ الْحَقِيقَةِ، وَعَزَلُوهَا عَن وَايَةِ الْيَقِينِ، وَشَنُّوا عَلَيْهَا غَارَاتِ التَّأْوِيلَاتِ الْبَاطِلَةِ، فَلَا يَزَالُ

[2] انْمَحَتْ وَذَهَبَ أَثْرُهَا.

[3] صار الإيمان غير واضح المعالم، كالرياح تهب على المنزل فتغشي رسومَه بالرمل وتغطيها بالتراب.

يَخْرُجُ عَلَيْهَا مِنْهُمْ كَمِيْنٌ بَعْدَ كَمِيْنٍ، نَزَلَتْ عَلَيْهِمْ^[1] نَزْوَلُ الضَّيْفِ عَلَى أَقْوَامٍ لِنَامٍ، فَقَابَلُوَهَا بِغَيْرِ مَا يَنْبَغِي لَهَا مِنْ الْقُبُولِ وَالْإِكْرَامِ، وَتَلَقَّوَهَا مِنْ بَعِيدٍ، وَلَكِنْ بِالِدَّفْعِ فِي الصُّدُورِ مِنْهَا وَالْأَعْجَازِ^[2]، وَقَالُوا: مَا لَكَ عِنْدَنَا مِنْ عُبُورٍ وَإِنْ كَانَ لَا بُدَّ فَعَلَى سَبِيلِ الْإِجْتِيَازِ^[1]، أَعَدُّوا لِذَفْعِهَا أَصْنَافَ الْعُدَدِ وَضُرُوبَ الْقَوَانِيْنِ^[2]، وَقَالُوا لَمَّا حَلَّتْ بِسَاحَتِهِمْ: مَا لَنَا وَلِظَوَاهِرِ لَفْظِيَّةٍ لَا تُفِيدُنَا شَيْئًا مِنَ الْبَيِّنِ، وَعَوَامُّهُمْ قَالُوا: حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ خَلْفَنَا مِنَ الْمُتَأَخَّرِيْنَ، فَإِنَّهُمْ أَعْلَمُ بِهَا مِنَ السَّلْفِ الْمَاضِيْنَ، وَأَقْوَمُ بِطَرَائِقِ الْحُجَجِ

[1] أى نصوص الكتاب والسنة.

[2] قاوموا النصوص بتأويلاتهم الباطلة.

[لا التطبيق.1]

[القواعد.2]

وَالْبِرَاهِينَ، وَأُولَئِكَ^[1] غَلَبَتْ عَلَيْهِمُ السِّدَاجَةُ وَسَلَامَةُ الصُّدُورِ،
وَلَمْ يَتَفَرَّغُوا لِتَمْهِيدِ قَوَاعِدِ النَّظَرِ، وَلَكِنْ صَرَفُوا هِمَمَهُمْ إِلَى
فِعْلِ الْمَأْمُورِ وَتَرْكِ الْمَحْظُورِ، فَطَرِيقَةُ الْمُتَأَخِّرِينَ أَعْلَمُ
وَأَحْكَمُ، وَطَرِيقَةُ السَّلَفِ الْمَاضِينَ أَجْهَلُ، لَكِنَّهَا أَسْلَمُ.

أَنْزَلُوا نَصُوصَ السُّنَّةِ وَالْقُرْآنِ
مَنْزِلَةَ الْخَلِيفَةِ فِي هَذَا الزَّمَانِ،
اسْمُهُ عَلَى السَّكَّةِ^[2] وَفِي الْخُطْبَةِ فَوْقَ الْمَنَابِرِ مَرْفُوعٌ،
وَالْحُكْمُ النَّافِذُ لِغَيْرِهِ، فَحُكْمُهُ غَيْرُ مَقْبُولٍ وَلَا مَسْمُوعٍ^[3].

[1] أي السلف.

[2] الحديدُ التي تطبعُ عليها الدراهم، ثم قيل للدراهم المضروبة [«سكَّة»] لأنها ضُربت بها.

[3] والمعنى أن المنافقين يدعون تعظيم الكتاب والسنة، والحقبة أنهم لا يُعْظَمون النصوص.

لَيْسُوا ثِيَابَ أَهْلِ الْإِيمَانِ عَلَيَّ
قُلُوبِ أَهْلِ الزَّيْغِ وَالْخُسْرَانِ، وَالْغُلَّ
وَالْكَفْرَانِ، فَالظَّوَاهِرُ ظَوَاهِرُ الْأَنْصَارِ، وَالْبَوَاطِنُ قَدْ
تَحَيَّرَتْ إِلَى الْكُفَّارِ، فَأَلْسِنَتُهُمْ أَلْسِنَةُ الْمُسَالِمِينَ، وَقُلُوبُهُمْ
قُلُوبُ الْمَحَارِبِينَ، وَيَقُولُونَ **چ ق ج ج ج ج**
[البقرة: 8].

رَأْسُ مَالِهِمُ الْخَدِيعَةُ وَالْمَكْرُ،
وَبِضَاعَتُهُمُ الْكُذْبُ وَالْخَتْرُ^[1]، وَعِنْدَهُمُ الْعَقْلُ الْمَعِيشِيُّ أَنَّ
الْفَرِيقَيْنِ عَنْهُمْ رَاضُونَ، وَهُمْ بَيْنَهُمْ آمِنُونَ **چ ج ج ج ج ج**
[البقرة: 9].

قَدْ نَهَكْتَ أَمْرَاضَ الشُّبُهَاتِ

[الْخَتْرُ: الغدرُ والخذاع. 1]

وَالشَّهَوَاتِ^[1] قُلُوبَهُمْ فَأَهْلَكَتَهَا ،
وَعَلَبَتِ الْقُصُودَ السَّيِّئَةَ عَلَى إِرَادَاتِهِمْ وَنِيَّاتِهِمْ فَأَفْسَدَتْهَا ،
فَفَسَادُهُمْ قَدْ تَرَامَى إِلَى الْهَلَاكِ ، فَعَجَزَ عَنْهُ الْأَطِبَّاءُ
الْعَارِفُونَ چ د ت ث ذ ن ط ز ر ك ي

چ [البقرة: 10]

مَنْ عَلَقَتْ مَخَالِبُ سُكُوكِهِمْ بِأَيْدِيهِمْ^[2] إِيْمَانِهِ مَزَقَّتَهُ كُلَّ

[لأن الشُّبُهَاتِ والشهوات أصلُ فساد العبدِ وشقائه في معاشه]¹
ومعاده، فالعبدُ له قوتان: قُوَّةُ الْإِدْرَاكِ وَالنَّظَرِ وَمَا يَتَّبِعُهَا مِنَ الْعِلْمِ
وَالْمَعْرِفَةِ وَالْكَلَامِ، وَقُوَّةُ الْإِرَادَةِ وَالْحُبِّ وَمَا يَتَّبِعُهُ مِنَ النِّيَّةِ وَالْعَزْمِ
وَالْعَمَلِ.

فالشبهة تُؤثرُ فسادًا في القُوَّةِ الْعِلْمِيَّةِ النَّظَرِيَّةِ (فساد التصور) ما لم
يداوها بدفعها، والشهوة تُؤثرُ فسادًا في القُوَّةِ الْإِرَادِيَّةِ الْعَمَلِيَّةِ
(فساد الإرادة) ما لم يداوها بإخراجها.

[أَيْدِيهِمْ كُلُّ شَيْءٍ: ظَاهِرٌ جَلْدِهِ، فَشَبَّهَ شُبُهَاتِ الْمُنَافِقِينَ بِالْحَيَوَانَ]²

تَمْزِيقٍ، وَمَنْ تَعَلَّقَ شَرْرُ فِتْنَتِهِمْ بِقَلْبِهِ أَلْقَاهُ فِي عَذَابِ
الْحَرِيقِ، وَمَنْ دَخَلَتْ شُبُهَاتُ تَلْبِيْسِهِمْ فِي مَسَامِعِهِ حَالَ بَيْنِ
قَلْبِهِ وَبَيْنَ التَّصْدِيقِ، فَفَسَادُهُمْ فِي الْأَرْضِ كَثِيرٌ، وَأَكْثَرُ
النَّاسِ عَنْهُ غَافِلُونَ ﴿١١﴾. [البقرة: 11 - 12]

الْمُتَمَسِّكُ عِنْدَهُمْ بِالْكِتَابِ
وَالسُّنَّةِ صَاحِبُ ظَوَاهِرٍ، مَبْخُوسٌ حَظُّهُ مِنْ
الْمَعْقُولِ، وَالدَّائِرُ مَعَ النُّصُوصِ [1] عِنْدَهُمْ كَحِمَارٍ يَحْمِلُ
أَسْفَارًا، فَهَمُّهُ فِي حَمْلِ الْمُنْقُولِ [2]، وَبِضَاعَةُ تَاجِرِ الْوَحْيِ

المفترس الذي يمزق الجلد بمخالبه.

[أى مع أدلة الكتاب والسنة. 1]

[ليس عندهم - والله الحمد - المنطق اليونانى، والقياسات العقلية، 2]

=

يوم القيامة نارًا موقدةً تَطَّلَعُ على الأفئدة.

فهذا مثلٌ من لم يَصْحَبْهُ نورُ الإيمان في الدنيا، بل خرج منه وفارقه بعد أن استضاء به، وهو حال المنافق، عَرَفَ ثم أنكر، وأقر ثم جحد، فهو في ظلماتٍ أصمٍّ أبكمٍ أعمى، كما قال تعالى في حق إخوانهم من الكفار: **چ ژ ژ ک ک ک گ چ** [الأنعام: 39].

وشبَّه تعالى حال المنافقين في خروجهم من النور بعد أن أضاء لهم بحال مُسْتَوْقِدِ النار وذهابِ نورها عنه بعد أن أضاءت ما حوله؛ لأنَّ المنافقين بمخالطتهم المسلمين، وصلاتهم معهم، وصيامهم معهم، وسماعهم القرآن، ومشاهدتهم أعلام الإسلام ومنازه، قد شاهدوا الضوء ورأوا النورَ عياناً؛ ولهذا قال تعالى في حقهم **چ ٹ ٹ ٹ چ** إليه؛ لأنهم فارقوا الإسلام بعد أن تلبَّسوا به، واستناروا به فهم لا يرجعون إليه.

=

أَسْمَاعُ قُلُوبِهِمْ قَدْ أَثْقَلَهَا
 الْوَقْرُ^[1]، فَهِيَ لَا تَسْمَعُ مُنَادِيَ الْإِيمَانِ، وَعُيُونَُ
 بَصَائِرِهِمْ عَلَيْهَا غِشَاوَةٌ الْعَمَى، فَهِيَ لَا تُبْصِرُ حَقَائِقَ
 الْقُرْآنِ، وَأَلْسِنَتُهُمْ بِهَا حَرَسٌ عَنِ الْحَقِّ فَهُمْ بِهِ لَا يَنْطِقُونَ چ

=

وقال تعالى في حق الكفار: چ چ ج ج [البقرة: 171] لأنهم لم
 يعقلوا الإسلام، ولا دخلوا فيه، ولا استناروا به، بل لم يزلوا في
 ظلمات الكفر، صم بكم عمي.

[الوابل الصيب ورافع الكلم الطيب 125، 126]

منشورات المجمع، بتصرف يسير]

[الْوَقْرُ: النَّقْلُ فِي الْأُنْزِنِ، وَالْمَعْنَى: لَا يَسْمَعُونَ الْحَقَّ؛ وَلَوْ سَمِعُوا مَا 1
 انْتَفَعُوا؛ فَيَجُوزُ أَنْ يُنْفَى الشَّيْءُ لِانْتِفَاءِ الْإِنْتِفَاعِ بِهِ، كَمَا فِي قَوْلِهِ
 تَعَالَى: چ چ ك ك ك ك ك ن ن [الأنفال: 21].

ث ت ث ت ط ؤ چ [البقرة: 18].

صَابَ عَلَيْهِمْ صَيْبٌ الْوَحْيِ ^[1]، وَفِيهِ حَيَاةُ الْقُلُوبِ وَالْأَرْوَاحِ، فَلَمْ يَسْمَعُوا مِنْهُ إِلَّا رَعْدَ التَّهْدِيدِ وَالْوَعِيدِ وَالتَّكْلِيفِ الَّتِي وُظِّفَتْ عَلَيْهِمْ فِي الْمَسَاءِ وَالصَّبَاحِ، فَجَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ، وَاسْتَغَشَوْا ثِيَابَهُمْ، وَجَدُّوا فِي الْهَرَبِ، وَالطَّلَبُ فِي آثَارِهِمْ وَالصِّيَاحُ، فَنُودِيَ عَلَيْهِمْ عَلَى رُءُوسِ الْأَشْهَادِ، وَكُشِفَتْ حَالُهُمْ لِلْمُسْتَبْصِرِينَ، وَضُرِبَ لَهُمْ مَثَلَانِ بِحَسَبِ حَالِ الطَّائِفِينَ مِنْهُمْ: الْمُنَاطِرِينَ، وَالْمُقَلِّدِينَ، فَقِيلَ **چ ف ث ف ؤ ف ف**
ف ف ؤ ج ج ج چ ج ج ج چ **چ چ ج ج ج ج** چ **چ**
چ ^[2] [البقرة: 19].

[أی القرآن الکریم 1]

[وهذا مثلٌ «مائی» ضربَهُ اللهُ لَصْنِيفِ آخِرِ مِنَ الْمُنَافِقِينَ 2]

=

(المُتَأَفِّفِينَ) الذين لم يذوقوا طعمَ الإيمان أبداً؛ لأنهم كفارٌ من الأصل؛ لكن أظهروا الإسلامَ خوفاً؛ فهو لاء ليسوا على هدى.

- قال ابن القيم : الصَّيِّبُ: المطر الذي يَصُوبُ من السماء، أي: ينزل منها بسرعة، وهو مَثَلُ القرآن الذي به حياة القلوب، كالمطر الذي به حياة الأرض والنبات والحيوان، فأدرك المؤمنون ذلك منه، وعلموا ما يحصل به من الحياة التي لا خطر لها، فلم يمنعهم منها ما فيه من الرعد والبرق، وهو الوعيد والتهديد، والعقوبات والمثُلات التي حذر الله بها من خالف أمره، وأخبر أنه مُنزلُها بمن كذَّب رسوله، أو ما فيه من الأوامر الشديدة، كجهاد الأعداء، والصبر على اللأواء، والأوامر الشاقة على النفوس التي هي بخلاف إرادتها، فهي كالظلمات والرعد والبرق، ولكن مَنْ عَلِمَ مواقع الغيث وما يحصل به من الحياة لم يستوحش لما معه من الظلمة والرعد والبرق، بل يستأنس لذلك، ويفرح به لما يرجو من الحياة

=

والخِصْب.

وأما المنافقُ فإنه لِعَمَى قلبه لم يجاوز بصرُه الظلمةَ، ولم يَرَ إلا برقًا يكاد يخطف البصر، ورعدًا عظيمًا وظلمة، فاستوحش من ذلك وخاف منه، فوضع أصابعه في أذنيه لئلا يسمع صوت الرعد، وهالهُ مشاهدة ذلك البرق، وشدة لمعانه، وعِظْمُ نوره، فهو خائف أن يختطف معه بصره؛ لأن بصره أضعف من أن يثبت معه، فهو في ظلمةٍ يسمع أصوات الرعد القاصف، ويرى ذلك البرق الخاطف، فإن أضاء له ما بين يديه مشى في ضوئه، وأن فقد الضوء قام متحيرًا لا يدري أين يذهب، ولجهله لا يعلم أن ذلك من لوازم الصَّيِّب الذي به حياةُ الأرض والنبات، وحياتُه هو في نفسه، بل لا يدرك إلا رعدًا، وبرقًا، وظلمةً، ولا شعور له بما وراء ذلك، فالوحشةُ لازمةٌ له، والرعبُ والفرغُ لا يفارقه.

وأما من أنس بالصَّيِّب وعلم ما يحصل به من الخيرات والحياة والنفع، وعلم أنه لا بُدَّ من رعد وبرق وظلمة؛ بسبب الغيم

=

أستأنس بذلك ولم يستوحش منه، ولم يَقْطَعُهُ ذلك عن أخذه
بنصيبه من الصَّيِّبِ.

فهذا مَثَلٌ مُطَابِقٌ للصَّيِّبِ الذي نزل به جبريل من عند رب العالمين
تبارك وتعالى، على قلب رسول الله؛ لِيُحْيِيَ به القلوب والوجود
أجمع، اقتضت حكمته أن يقارنه من الغيم والرعد والبرق ما
يقارن الصَّيِّبِ المائِيَّ، حكمَةً بالغةً، وأسباباً منتظمةً نظَّمها
العزیز الحكيم.

فكان حظ المنافق من ذلك الصَّيِّبِ سحابه ورُعُودُه وبرُوقُه فقط، لم يعلم
ما وراءه، فاستوحش بما أنس به المؤمنون، وارتاب بما اطمأن به
العالمون، وشك فيما تيقَّنه المُبْصِرُونَ العارفون، فبصره في المثل
الناري كبصر الخُفَّاش نحر الظهيرة، وسمَّعه في المثل المائِي كسمع
من يموت من صوت الرعد، وقد ذُكِرَ عن بعض الحيوانات أنها
تموت من صوت الرعد.

=

ضَعَفَتْ أَبْصَارُ بَصَائِرِهِمْ عَنِ احْتِمَالِ مَا فِي الصَّيْبِ
 مِنْ بُرُوقِ أَنْوَارِهِ وَضِيَاءِ مَعَانِيهِ، وَعَجَزَتْ أَسْمَاعُهُمْ عَنِ
 تَلْقَى رُغُودِ وَعُودِهِ وَأَوَامِرِهِ وَتَوَاهِيهِ، فَقَامُوا عِنْدَ ذَلِكَ
 حَيَارَى فِي أَوْدِيَةِ التَّيِّهِ، لَا يَنْتَفِعُ بِسَمْعِهِ السَّامِعُ، وَلَا يَهْتَدِي
 بِبَصَرِهِ النَّبِيرُ،

=

وإذا صادف هذه العقول والأسماع والأبصار شبهات شيطانية،
 وخيالات فاسدة، وظنون كاذبة، جالت فيها وصالت، وقامت فيها
 وقعدت، واتسع فيها مجالها، وكثُرَ بها قِيلُهَا وَقَالُهَا، فمَلَّتْ
 الأسماع من هذيانها، والأرض من دويانها، وما أكثر المستجيبين
 لهؤلاء، والقابلين منهم، والقائمين بدعوتهم، والمحامين عن
 حوزتهم، والمقاتلين تحت ألويتهم، والمُكْتَرِّين لسوادهم عدداً، وما
 أقلهم عند الله وأوليائه قدراً.

[الوابل الصيب ورافع الكلم الطيب 128-130 منشورات المجمع]

چ چ چ چ چ چ چ چ چ چ
 ک د گ گ د گ گ د گ گ
 گ چ [البقرة: 20].

لَهُمْ عَلَامَاتٌ يُعْرَفُونَ بِهَا مُبَيَّنَةٌ
 فِي السُّنَّةِ وَالْقُرْآنِ^[1]، بَادِيَةٌ لِمَنْ تَدَبَّرَهَا مِنْ
 أَهْلِ بَصَائِرِ الْإِيمَانِ، قَامَ بِهِمْ وَاللَّهِ الرَّيَاءُ، وَهُوَ أَقْبَحُ مَقَامٍ
 قَامَهُ الْإِنْسَانُ، وَقَعَدَ بِهِمُ الْكَسَلُ عَمَّا أَمَرُوا بِهِ مِنْ أَوْامِرِ
 الرَّحْمَنِ، فَأَصْبَحَ الْإِخْلَاصُ عَلَيْهِمْ لِذَلِكَ تَقِيلاً چ چ چ
 چ د ي د ت ت ت ت ت ت ر چ [النساء: 142].

أَحَدُهُمْ كَالشَّاةِ الْعَائِرَةِ بَيْنَ الْغَنَمِينَ^[2]، تَعِيرُ إِلَى هَذِهِ

[شَرَعَ ابْنُ الْقَيِّمِ : فِي بَيَانِ عِلَامَاتِ الْمُنَافِقِينَ.1]

[الشَّاةُ الْعَائِرَةُ: الْمَتَرَدَّةُ الْحَائِرَةُ لَا تَدْرِي أَيُّهُمَا تَتَّبِعُ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ ج: 2] «مَثَلُ الْمُنَافِقِ، كَمَثَلِ الشَّاةِ الْعَائِرَةِ بَيْنَ الْغَنَمِينَ تَعِيرُ إِلَى هَذِهِ مَرَّةً»

مَرَّةً وَإِلَى هَذِهِ مَرَّةً، وَلَا تَسْتَقِرُّ مَعَ إِحْدَى

الْفِتْنَيْنِ، فَهُمْ وَاقِفُونَ بَيْنَ الْجَمْعَيْنِ^[1]، يَنْظُرُونَ أَيُّهُم
أَقْوَى وَأَعَزُّ قَبِيلًا چ ژ ک ی د گ گ
گ گ ب ب ب ب ک گ گ گ چ [النساء: 143].

يَتَرَبَّصُّونَ الدَّوَائِرَ بِأَهْلِ السُّنَّةِ
وَ الْقُرْآنِ، فَإِنْ كَانَ لَهُمْ فَتْحٌ مِنَ اللَّهِ، قَالُوا: أَلَمْ نَكُنْ
مَعَكُمْ؟ وَأَفْسَمُوا عَلَى ذَلِكَ بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ، وَإِنْ كَانَ
لِأَعْدَاءِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ مِنَ النُّصْرَةِ نَصِيبٌ، قَالُوا: أَلَمْ تَعْلَمُوا

=

وَإِلَى هَذِهِ مَرَّةً» [مسلم ج4- صفات المنافقين وأحكامهم/17 عن ابن عمر

ب]

[الجمعان: المؤمنون والكافرون.1]

أَنْ عَقَدَ الْإِخَاءِ بَيْنَنَا مُحْكَمٌ، وَأَنَّ النَّسَبَ بَيْنَنَا قَرِيبٌ؟ فَيَا مَنْ
يُرِيدُ مَعْرِفَتَهُمْ، خُذْ صِفَاتِهِمْ مِنْ كَلَامِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، فَلَا
تَحْتَاجُ بَعْدَهُ دَلِيلًا **چ ا ب پ پ پ پ پ پ پ پ پ پ**
پ پ ن ت ن ن ت ت ت ت ت ت
ف ف ف ف ف ف ف ج ج ج ج ج ج

[النساء: 141]

يُعْجِبُ السَّامِعَ قَوْلَ أَحَدِهِمْ
لِحَلَاوَتِهِ وَلَيِّنِهِ ، وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ مِنْ
كَذِبِهِ وَمَيْنِهِ^[1] ، فَتَرَاهُ عِنْدَ الْحَقِّ نَائِمًا ، وَفِي الْبَاطِلِ عَلَى
الْأَقْدَامِ ، فَحُذُّ وَصْفَهُمْ مِنْ قَوْلِ الْقُدُّوسِ السَّلَامِ

ﻱ ﻉ ﺟ ﺏ ﻱ ﻉ ﺟ ﺏ ﻱ ﻉ ﺟ ﺏ ﻱ ﻉ ﺟ ﺏ ﻱ ﻉ ﺟ ﺏ ﻱ ﻉ ﺟ ﺏ

ﻱ ﻉ ﺟ ﺏ ﻱ ﻉ ﺟ ﺏ ﻱ ﻉ ﺟ ﺏ ﻱ ﻉ ﺟ ﺏ ﻱ ﻉ ﺟ ﺏ ﻱ ﻉ ﺟ ﺏ ﻱ ﻉ ﺟ ﺏ ﻱ ﻉ ﺟ ﺏ ﻱ ﻉ ﺟ ﺏ
[البقرة: 204]

أَوَامِرُهُمُ الَّتِي يَأْمُرُونَ بِهَا
أَتْبَاعَهُمْ مُتَضَمِّنَةً لِفَسَادِ الدُّنْيَا
وَالْعِبَادِ ، وَنَوَاهِيهِمْ عَمَّا فِيهِ صَلَاحُهُمْ فِي الْمَعَاشِ
وَالْمَعَادِ ، وَأَحَدُهُمْ تَلْقَاهُ بَيْنَ جَمَاعَةِ أَهْلِ الْإِيمَانِ فِي الصَّلَاةِ
وَالذِّكْرِ وَالزُّهُدِ وَالْإِجْتِهَادِ ﻱ ﻉ ﺟ ﺏ ﻱ ﻉ ﺟ ﺏ ﻱ ﻉ ﺟ ﺏ ﻱ ﻉ ﺟ ﺏ ﻱ ﻉ ﺟ ﺏ ﻱ ﻉ ﺟ ﺏ ﻱ ﻉ ﺟ ﺏ
ر ك ك ﺟ ﺏ [البقرة: 205].

[المئين: الكذب. 1.]



الْمُنَافِقُونَ



الْمُنَافِقُونَ

اَشْتَرُوا الْكُفْرَ بِاِيْمَانِهِمْ؟ فَمَا اَخْسَرَ تِجَارَتَهُمُ الْبَائِرَةَ! وَقَدْ
 اسْتَبَدَلُوا بِالرَّحِيقِ الْمَخْتُومِ حَرِيقًا چ چ چ ی د ت ت
 ن ن ن ن ن ن ن ک ک چ [النساء: 62].

نَسِبَ زَقُومَ الشُّبُهَةِ وَالشُّكُوكِ فِي قُلُوبِهِمْ، فَلَا يَجِدُونَ لَهُ
 مُسِيغًا^[1] چ گ گ گ گ گ گ گ گ گ گ گ گ
 ن ن ن چ [النساء: 63].

تَبَّأ لَهُمْ، مَا أَبَعَدَهُمْ عَنْ حَقِيقَةِ الْإِيمَانِ! وَمَا أَكْذَبَ
 دَعْوَاهُمْ لِلتَّحْقِيقِ وَالْعِرْفَانِ^[2]، فَاَلْقَوْهُ فِي شَأْنٍ وَاتَّبَاعُ
 فِي كِتَابِهِ بِنَفْسِهِ الْمُقَدَّسَةِ ﷻ الرَّسُولِ فِي شَأْنٍ، لَقَدْ أَقْسَمَ اللَّهُ
 قَسَمًا عَظِيمًا، يَعْرِفُ مَضْمُونَهُ أَوْلُو الْبَصَائِرِ، فَقُلُوبُهُمْ مِنْهُ
 عَلَى حَذَرٍ إِجْلَالًا لَهُ وَتَعْظِيمًا، فَقَالَ تَعَالَى تَحْذِيرًا لِأَوْلِيَائِهِ

[علقْتُ أشواكُ الشبهاتِ والشكوكِ بقلوبهم فلا تتأثر بالحق .1]

[فهم: النخبةُ الصفةُ المثقفون أهلُ التنويرِ والمعرفةِ والتقدم،
 والمستمسكون بالإسلام ظلاميون رجعيون متخلفون - عندهم -

=

وَالْإِنْفَاتَ إِلَىٰ غَيْرِهِ هُوَ حَقِيقَةُ النَّفَاقِ، كَمَا أَنَّ حَقِيقَةَ الْإِيمَانِ هُوَ تَحْكِيمُهُ وَارْتِفَاعُ الْحَرَجِ عَنِ الصِّدْرِ بِحُكْمِهِ وَالتَّسْلِيمُ لِمَا حَكَمَ بِهِ رِضَىٰ وَاخْتِيَارًا وَمَحَبَّةً، فَهَذَا حَقِيقَةُ الْإِيمَانِ، وَذَلِكَ الْإِعْرَاضُ حَقِيقَةُ النَّفَاقِ.

نُمَّ أَخْبَرَ سُبْحَانَهُ عَنِ عُقُوبَةِ الْمُعْرِضِينَ عَنِ التَّحَاكُمِ إِلَيْهِ جِ الرَّاضِينَ بِحُكْمِ الْغَيْرِ مِنْ خَلْقِهِ فِي قَوْلِهِ: **چ چ چ چ چ چ چ چ چ چ** **ڈ ڈ ڈ ڈ ڈ ڈ ڈ ڈ ڈ ڈ** **ک ک ک ک ک ک ک ک ک ک** [النساء: 62].

فَأَخْبَرَ أَنَّ هَذَا الْإِعْرَاضَ عَنِ التَّحَاكُمِ إِلَيْهِ جِ سَبَبٌ لِأَنَّ نُصِيبَهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ كَمَا قَالَ فِي الْآيَةِ الْأُخْرَى: **چ ڈ ک ک ک ک ک ک ک ک ک ک** **ک ک ک ک ک ک ک ک ک ک** **چ چ چ چ چ چ چ چ چ چ** [النور: 63] وَقَالَ فِي الْمُنْتَوِلِينَ عَنِ حُكْمِهِ **□ □ □ □ □ □ □ □ □ □** [المائدة: 49].

=

يَتَمَتَّعُونَ بِطِيبِ الْعَيْشِ وَلَذَّةِ الْمَنَامِ فِي دِيَارِهِمْ، فَمَا مَنَعُوا
 بِهِ^[2] وَلَا بِنِتَائِكَ الْهَجْعَةَ^[3] انْتَفَعُوا، فَمَا هُوَ إِلَّا أَنْ صَاحَ بِهِمْ
 الصَّائِحُ فَقَامُوا عَنْ مَوَائِدِ أَطْعِمَتِهِمْ وَالْقَوْمُ جِيَاعٌ مَا شَبِعُوا،
 فَكَيْفَ حَالُهُمْ عِنْدَ اللَّقَاءِ؟ وَقَدْ عَرَفُوا ثُمَّ أَنْكَرُوا، وَعَمُوا
 بَعْدَمَا عَايَنُوا الْحَقَّ وَأَبْصَرُوا چے ك ك ك ك و و و و
 [المنافقون: 3].

أَحْسَنُ النَّاسِ أَجْسَامًا، وَأَخْلَبُهُمْ

=

[رجعوا عما كانوا عليه من الحق. 1]

[أى بطيب العيش. 2]

[النومَةُ الْخَفِيفَةُ مِنْ أَوَّلِ اللَّيْلِ، فَسْرَعَانٌ مَا تَنْقُضِي لَدَائِهِمْ. 3]

عِنْدَ الْغُرُوبِ، وَيَنْقُرُونَهَا نَقْرَ الْغُرَابِ، إِذْ هِيَ صَلَاةُ
الْأَبْدَانِ، لَا صَلَاةُ الْقُلُوبِ، وَيَلْتَفِتُونَ فِيهَا التَّفَاتِ التَّعَلُّبِ، إِذْ
يَتَبَيَّنُ أَنَّهُ مَطْرُودٌ مَطْلُوبٌ، وَلَا يَشْهَدُونَ الْجَمَاعَةَ، بَلْ إِنْ
صَلَّى أَحَدُهُمْ فِي الْبَيْتِ أَوْ الدُّكَّانِ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ، وَإِذَا
عَاهَدَ غَدَرَ، وَإِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا اتَّيَمَّنَ
خَانَ، هَذِهِ مُعَامَلَتُهُمْ لِلْخَلْقِ، وَتِلْكَ مُعَامَلَتُهُمْ لِلْخَالِقِ، فَخُذْ
وَصَفَّهُمْ مِنْ أَوَّلِ الْمُطَفِّفِينَ، وَآخِرِ وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ فَلَا

=

ومنه قوله ج: «إِنَّهُ سَتَكُونُ عَلَيْكُمْ أُمَرَاءُ يُؤَخَّرُونَ الصَّلَاةَ عَنْ
مِيقَاتِهَا، وَيَخْنُقُونَهَا إِلَى شَرْقِ الْمَوْتَى، فَإِذَا رَأَيْتُمُوهُمْ قَدْ فَعَلُوا
ذَلِكَ، فَصَلُّوا الصَّلَاةَ لِمِيقَاتِهَا، وَاجْعَلُوا صَلَاتَكُمْ مَعَهُمْ سُبْحَةً...
« الحديث.

[مسلم ج1- المساجد ومواضع الصلاة/26 عن ابن مسعود ت]

يُنْبِئُكَ عَنِ أوصَافِهِمْ مِثْلُ خَبِيرٍ **چ چ ي ي ت ت ت ت ت ت**
ر ر ر ر [چ]التحریم: 9] **فَمَا أَكْثَرَهُمْ! وَهُمْ الْأَقْلُونَ، وَمَا**
أَجْبَرَهُمْ! وَهُمْ الْأَدْلُونَ، وَمَا أَجْهَلُهُمْ! وَهُمْ الْمُتَعَالِمُونَ، وَمَا
أَعْرَهُم بِاللَّهِ! إِذْ هُمْ بِعِظَمَتِهِ جَاهِلُونَ **چ ت ت ت ت**
 [التوبة: 56]. **ط ط ط ف ف ف ف ف ف**

إِنْ أَصَابَ أَهْلَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ
 عَافِيَةً وَنَصْرًا وَظُهُورًا سَاءَ لَهُمْ ذَلِكَ
 وَغَمَّهُمْ^[1] ، وَإِنْ أَصَابَهُمْ ابْتِلَاءٌ مِنَ اللَّهِ وَامْتِحَانٌ يُمَحِّصُ
 بِهِ ذُنُوبَهُمْ، وَيَكْفُرُ بِهِ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ أَفْرَحَهُمْ ذَلِكَ وَسَرَّهُمْ،
 وَهَذَا يُحَقِّقُ إِرْتَهُمَ وَإِرْتَّ مَنْ عَدَاهُمْ، وَلَا يَسْتَوِي مَنْ

[فَيُطْلِقُونَ أَقْلَامَهُمُ الْمَسْمُومَةَ، وَقَنَوَاتِهِمُ الْمَشْبُوهَةَ، وَ أَلْسِنَتَهُمْ]1
 الْمُغْرَضَةَ كَالْكِلَابِ الْمَسْعُورَةِ فِي حِمْلَاتِ إِعْلَامِيَّةٍ دُبِّرَتْ بِلِيلِ
 مُظْلِمٍ كِنَافِقَانِهِمْ؛ لِيُلْبِسُوا الْحَقَّ عَلَى النَّاسِ، وَيَشُوهُوا أَهْلَهُ **چ**
□ □ □ □ .

ثَقُلْتُ عَلَيْهِمُ النُّصُوصُ فَكَرِهُوهَا ،
 وَأَعْيَاهُمْ^[1] حَمَلُهَا فَأَلْفَوْهَا عَنْ أَكْتَابِهِمْ وَوَضَعُوهَا ، وَتَفَلَّتَتْ
 مِنْهُمْ السُّنَنُ أَنْ يَحْفَظُوهَا فَأَهْمَلُوهَا ، وَصَالَتْ عَلَيْهِمْ
 نُصُوصُ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ فَوَضَعُوا لَهَا قَوَانِينَ رَدُّوهَا بِهَا
 وَدَفَعُوهَا ، وَقَدْ هَتَكَ اللَّهُ أَسْتَارَهُمْ ، وَكَشَفَ أَسْرَارَهُمْ ،
 وَضَرَبَ لِعِبَادِهِ أَمْثَالَهُمْ ، وَأَعْلَمَ أَنَّهُ كَلَّمَا انْقَرَضَ مِنْهُمْ
 طَوَائِفُ خَلْفَهُمْ أَمْثَالَهُمْ ، فَذَكَرَ أَوْصَافَهُمْ ، لِأَوْلِيَائِهِ لِيَكُونُوا
 مِنْهَا عَلَى حَذَرٍ ، وَبَيَّنَّهَا لَهُمْ ، فَقَالَ چ پ پ □ □ □

[قال ابن القيم :: يُقَالُ لِكُلِّ مَنْ عَجَزَ عَنِ شَيْءٍ عَيِيَ بِهِ ، وَعَيِيَ 1]
 فَلَانٌ بِهِذَا الْأَمْرَ . [الفوائد ص 11 ، المجمع]

والمعنى: لم يهتدوا لفهم الكتاب والسنة، ولم يقدرُوا على معرفة
 وتحصيل النصوص.

چ [1] □ □ □ [محمد: 9].

[كرهوا الكتاب والسنة، كحال كثير من النفوس الفاسدة التي تكره 1] وطبعها ذلك النهج السليم القويم، وتصادمه من داخلها، بحكم مغايرة طبيعتها لطبيعته. نفوس تحس منها النفرة والكرهية لهذا الدين، وما يتصل به حتى إنها لتفرغ من مجرد ذكره كما لو كانت قد لذعتها العقارب ! وتتجنب أن يجيء ذكره أو الإشارة إليه فيما تسمع حولها من حديث !

ونشاهد في هذه الأيام حالة من هذا الطراز لا تخفى على الملاحظة ! وكان جزاء هذه الكراهية لما أنزل الله، أن أحبط الله أعمالهم.

والحبوط انتفاخ بطون الماشية عند أكلها نوعاً من المرعى سام. ينتهي بها إلى الموت والهلاك. وكذلك انتفخت أعمالهم وورمت وانبعجت.. ثم انتهت إلى الهلاك والضياع ! [الظلال 3289/6، بتصرف]

المُرُورِ وَالذَّهَابِ، وَأَعْطُوا نُورًا ظَاهِرًا مَعَ أَهْلِ الْإِسْلَامِ،
 كَمَا كَانُوا بَيْنَهُمْ فِي هَذِهِ الدَّارِ يَأْتُونَ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَالْحَجِّ
 وَالصِّيَامِ، فَلَمَّا تَوَسَّطُوا الْجِسْرَ عَصَفَتْ عَلَى أَنْوَارِهِمْ أَهْوِيَةٌ
 النَّفَاقِ، فَأَطْفَأَتْ مَا بِأَيْدِيهِمْ مِنَ الْمَصَابِيحِ، فَوَقَفُوا حِيَارَى لَا
 يَسْتَطِيعُونَ المُرُورَ، فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ أَهْلِ الْإِيمَانِ بِسُورٍ
 لَهُ بَابٌ، وَلَكِنْ قَدْ حِيلَ بَيْنَ الْقَوْمِ وَبَيْنَ الْمَفَاتِيحِ، بَاطِنُهُ الَّذِي
 يَلِي الْمُؤْمِنِينَ فِيهِ الرَّحْمَةُ، وَمَا يَلِيهِمْ مِنْ قِبَلِهِمُ الْعَذَابُ
 وَالنَّقْمَةُ، يُنَادُونَ مَنْ تَقَدَّمَهُمْ مِنْ وَفْدِ الْإِيمَانِ، وَمَشَاعِلُ
 الرِّكْبِ تَلُوحُ عَلَى بُعْدِ كَالنُّجُومِ، تَبْدُو لِنَاضِرِ الْإِنْسَانِ **چ ف**
ف ق ج [چ] الحديد: 13] لِنْتَمَكَّنَ فِي هَذَا الْمَضِيقِ مِنَ الْعُبُورِ،
 فَقَدْ طُفِئَتْ أَنْوَارُنَا، وَلَا جَوَازَ الْيَوْمِ إِلَّا بِمُصْبَاحٍ مِنَ النُّورِ **چ**
ج چ ج ج ج ج [چ] الحديد: 13] حَيْثُ قُسِّمَتِ الْأَنْوَارُ،
 فَهَيْهَاتَ الْوُقُوفُ لِأَحَدٍ فِي مِثْلِ هَذَا الْمِضْمَارِ! كَيْفَ نَلْتَمِسُ

ن ظ ثة ه ه ب ه ه ه ه [1] چ [الحديد: 14 - 15]

لَا تَسْتَطِيعُ أَوْصَافَ الْقَوْمِ، فَالْمَتْرُوكُ -
وَاللَّهِ - أَكْثَرُ مِنَ الْمَذْكُورِ، كَادَ الْقُرْآنُ أَنْ يَكُونَ كُلُّهُ فِي
شَأْنِهِمْ [2] لِكَثْرَتِهِمْ عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ وَفِي أَجْوَابِ الْقُبُورِ،
فَلَا خَلَتْ بِقَاعِ الْأَرْضِ مِنْهُمْ لِنَلَا يَسْتَوْحِشَ الْمُؤْمِنُونَ فِي

[قال ابن القيم :: وهذا أشد ما يكون من الحسرة والبلاء أن يفتح 1]
للعبد طريق النجاة والفلاح، حتى إذا ظن أنه ناج ورأى منازل
السعداء اقتطع عنهم وضربت عليه الشقوة. ونعوذ بالله من
غضبه وعقابه. [طريق الهجرتين وباب السعادتين 880/2، 881
منشورات المجمع]

[فقلما تخلو من ذكرهم سورة مدنية، فالنفاق لم يكن له ذكر في 2]
مكة قبل الهجرة ولم ينزل فيه شيء - فيما أعلم - من القرآن
المكي.

الطُّرُقَاتِ^[1]، وَتَتَعَطَّلَ بِهِمْ أَسْبَابُ الْمَعَايِشِ، وَتَخْطَفُهُمُ
الْوُحُوشُ وَالسَّبَّاعُ فِي الْفَلَوَاتِ^[2]، سَمِعَ حُدَيْفَةُ تَرْجُلًا
يَقُولُ: «اللَّهُمَّ أَهْلِكَ الْمُنَافِقِينَ، فَقَالَ: يَا ابْنَ أَخِي، لَوْ هَلَكَ
الْمُنَافِقُونَ لَأَسْتَوْحَشْتُمْ فِي طُرُقَاتِكُمْ مِنْ قِلَّةِ السَّالِكِ».

[لِقَلَّةِ الْمُؤْمِنِينَ، وَكَثْرَةِ الْمُنَافِقِينَ.1]

[جَمْعُ «قِلَاةٍ»: أَرْضٌ وَاسِعَةٌ مُقْفِرَةٌ لَا مَاءَ فِيهَا.2]

خوف المؤمنين الصادقين

تَبَّالَهُ لَقَدْ قَطَعَ خَوْفَ النَّفَاقِ قُلُوبَ
السَّابِقِينَ الْأُولِينَ^[1]، لِعِلْمِهِمْ بِدِقِّهِ وَجَلِّهِ
وَتَفَاصِيلِهِ وَجَمَلِهِ، سَاءَتْ ظُنُونُهُمْ بِنُفُوسِهِمْ حَتَّى خَشَوْا أَنْ

[كان خوف الصحابة والمؤمنين من النفاق العملى الأصغر. 1]

- قال ابن رجب :: وَلَمَّا تَقَرَّرَ عِنْدَ الصَّحَابَةِ نَ أَنْ النَّفَاقَ هُوَ
اِخْتِلَافُ السَّرِّ وَالْعَلَانِيَةِ خَشِيَ بَعْضُهُمْ عَلَى نَفْسِهِ أَنْ يَكُونَ إِذَا
تَغَيَّرَ عَلَيْهِ حُضُورُ قَلْبِهِ وَرِقَّتُهُ وَخُشُوعُهُ عِنْدَ سَمَاعِ الذِّكْرِ
بِرُجُوعِهِ إِلَى الدُّنْيَا وَالِاشْتِغَالِ بِالْأَهْلِ وَالْأَوْلَادِ وَالْأَمْوَالِ أَنْ
يَكُونَ ذَلِكَ مِنْهُ نِفَاقًا.

[جامع العلوم والحكم صد 494 ط الرسالة]

يَكُونُوا مِنْ جُمْلَةِ الْمُتَأَفِّفِينَ، قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ
لِحَدِيثِهِ ب: «يَا حُدَيْفَةُ، نَشَدْتُكَ بِاللَّهِ، هَلْ سَمَّيْتَنِي لَكَ رَسُولُ
اللَّهِ ج مِنْهُمْ؟ قَالَ: لَا، وَلَا أَرْكَبُ بَعْدَكَ أَحَدًا»^[1]، وَقَالَ ابْنُ
أَبِي مُلَيْكَةَ: «أَدْرَكْتُ ثَلَاثِينَ مِنْ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ ج كُلُّهُمْ
يَخَافُ النَّفَاقَ عَلَى نَفْسِهِ، مَا مِنْهُمْ أَحَدٌ يَقُولُ: إِنَّ إِيْمَانَهُ
كَإِيْمَانِ جَبْرِيلَ وَمِيكَائِيلَ»، ذَكَرَهُ الْبُخَارِيُّ^[2].

[أخرج البزار 7 / 292 حديث (2885)، وقال الهيثمي في 1]
مجمع الزوائد: "رَجَالُهُ ثِقَاتٌ".

[رواه البخاري معلقاً بصيغة الجزم، كتاب الإيمان، باب خوف 2]
المؤمن من أن يحبط عمله وهو لا يشعر .

وقال الحافظ : ووصله ابنُ أبي خيثمة في «تاريخه» لكن أبهم
العدد، وكذا أخرج ابنُ نصر في «الصلاة» مطولاً.

[تغليق التعليق على صحيح البخاري 52/2 ط المکتب الإسلامي]

وَذَكَرَ عَنِ الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ: مَا أَمِنَهُ إِلَّا مُنَافِقٌ، وَمَا

=

وقال - معلقًا على الأثر - : وَالصَّحَابَةَ الَّذِينَ أَدْرَكَهُم ابْنُ أَبِي مُلَيْكَةَ
 مِنْ أَجْلِهِمْ عَائِشَةُ، وَأَخْتُهَا أَسْمَاءُ، وَأُمُّ سَلَمَةَ، وَالْعَبَادِلَةُ الْأَرْبَعَةُ،
 وَأَبُو هُرَيْرَةَ، وَعُقْبَةُ بْنُ الْحَارِثِ، وَالْمِسُورُ بْنُ مَخْرَمَةَ فَهَؤُلَاءِ
 مِمَّنْ سَمِعَ مِنْهُمْ، وَقَدْ أَدْرَكَ بِالسَّنِّ جَمَاعَةً أَجَلٌ مِنْ هَؤُلَاءِ كَعَلِيِّ
 بْنِ أَبِي طَالِبٍ، وَسَعْدِ ابْنِ أَبِي وَقَّاصٍ، وَقَدْ جَزَمَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا
 يَخَافُونَ النِّفَاقَ فِي الْأَعْمَالِ وَلَمْ يُنْقَلْ عَنْ غَيْرِهِمْ خِلَافَ ذَلِكَ
 فَكَانَتْهُ إِجْمَاعٌ؛ وَذَلِكَ لِأَنَّ الْمُؤْمِنَ قَدْ يَعْضُرُ عَلَيْهِ فِي عَمَلِهِ مَا
 يَشُوبُهُ مِمَّا يُخَالِفُ الْإِخْلَاصَ وَلَا يَلْزَمُ مِنْ خَوْفِهِمْ مِنْ ذَلِكَ
 وَقُوْعُهُ مِنْهُمْ بَلْ ذَلِكَ عَلَى سَبِيلِ الْمُبَالَغَةِ مِنْهُمْ فِي الْوَرَعِ
 وَالنَّفَقَى ن. [الفتح 110/1]

خَافَهُ إِلَّا مُؤْمِنٌ^[1]، وَلَقَدْ ذَكَرَ عَنْ بَعْضِ الصَّحَابَةِ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ فِي دُعَائِهِ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ خُشُوعِ النَّفَاقِ، قِيلَ: وَمَا خُشُوعُ النَّفَاقِ؟ قَالَ: أَنْ يُرَى الْبَدَنُ خَاشِعًا وَالْقَلْبُ لَيْسَ بِخَاشِعٍ»^[2].

تَرَأَى اللَّهُ لَقَدْ مُلِدَّتْ قَلُوبُ الْقَوْمِ
إِيمَانًا وَيَقِينًا، وَخَوْفُهُمْ مِنْ
النَّفَاقِ شَدِيدٌ، وَهُمْ لِدَاكِ نَقِيلٌ، وَسِوَاهُمْ كَثِيرٌ
مِنْهُمْ لَا يُجَاوِزُ إِيْمَانَهُمْ حَنَاجِرَهُمْ، وَهُمْ يَدْعُونَ أَنَّ إِيْمَانَهُمْ

[1] نكره البخاري 19/1 معلقاً، وأخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» [859] موصولاً. [تغليق التعليق على صحيح البخاري 53/2 ط المكتب الإسلامي]

[2] أخرجه ابن أبي شيبة (36723/284/12)، وابن المبارك في [2] الزهد (46، 47 حديث 134).

كَإِيمَانَ جِبْرِيلَ وَمِيكَائِيلَ [1].

[هُمْ الْمُرْجِيئَةُ الْقَائِلُونَ بِأَنَّ الْإِيمَانَ هُوَ مُجَرَّدُ التَّصَدِيقِ، وَالْأَعْمَالِ]
لَيْسَتْ مِنَ الْإِيمَانِ، وَأَنَّ إِيْمَانَ أَفْسَقِ النَّاسِ كإِيمَانِ جِبْرِيلَ
وَمِيكَائِيلَ !.

زَرَعُ النَّفَاقِ يَنْبُتُ عَلَى
 سَاقِيَتَيْنِ: سَاقِيَةِ الْكُذِبِ، وَسَاقِيَةِ الرِّيَاءِ، وَمَخْرَجُهُمَا
 مِنْ عَيْنَيْنِ: عَيْنِ ضِعْفِ الْبَصِيرَةِ^[1]، وَعَيْنِ ضِعْفِ
 الْعَزِيمَةِ^[2]، فَإِذَا تَمَّتْ هَذِهِ الْأَرْكَانُ الْأَرْبَعُ اسْتَحْكَمَ نَبَاتُ
 النَّفَاقِ وَبُنِيَانُهُ، وَلَكِنَّهُ بِمَدَارِجِ السُّيُولِ عَلَى شَفَا جُرْفٍ
 هَارٍ^[3]، فَإِذَا شَاهَدُوا سَيْلَ الْحَقَائِقِ يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ،
 وَكُشِفَ الْمَسْتُورُ، وَبُعِثَرَ مَا فِي الْقُبُورِ، وَحُصِّلَ مَا فِي
 الصُّدُورِ، تَبَيَّنَ حِينئِذٍ لِمَنْ كَانَتْ بِضَاعَتُهُ النَّفَاقُ أَنَّ حَوَاصِلَهُ
 الَّتِي حَصَلَهَا كَانَتْ كَالسَّرَابِ چ چ چ چ چ چ چ چ چ چ چ چ چ چ چ چ

[بسبب فسَادِ الْقُوَّةِ الْعِلْمِيَّةِ النَّظَرِيَّةِ (فساد التصور).1]

[بسبب فسَادِ الْقُوَّةِ الْإِرَادِيَّةِ الْعَمَلِيَّةِ (فساد الإرادة).2]

[طرف حفرة متداعية للسقوط، والمعنى: عمل المنافقين كالبناء
 على حافة هاوية، فهو واه ساقط، يقع بصاحبه في نار جهنم.

ي د ت ث ذ ظ ز ر ز ر چ

[النور: 39]

قُلُوبُهُمْ عَنِ الْخَيْرَاتِ لَاهِيَةً^[1]، وَأَجْسَادُهُمْ إِلَيْهَا
سَاعِيَةً^[2]، وَالْفَاحِشَةَ فِي فِجَاجِهِمْ فَاسِيَةً^[3] وَإِذَا سَمِعُوا الْحَقَّ
كَانَتْ قُلُوبُهُمْ عَنِ سَمَاعِهِ قَاسِيَةً، وَإِذَا حَضَرُوا الْبَاطِلَ
وَشَهِدُوا الزُّورَ انْفَتَحَتْ أَبْصَارُ قُلُوبِهِمْ، وَكَانَتْ أَدَانُهُمْ
وَاعِيَةً.

[في الباطن.1]

[في الظاهر.2]

[يحبون نشر الفاحشة.3]



قَالَ الْعَلَامَةُ مُحَمَّدُ رَشِيدُ رِضَا: هَذَا بَيَانٌ لِحَالِ طَائِفَةٍ أُخْرَى مِنْ أَوْلِيكَ الْمُنَافِقِينَ الَّذِينَ أَغْنَاهُمْ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ بَعْدَ الْفَقْرِ . وَيُوجَدُ مِنْهُمْ فِي كُلِّ زَمَانٍ، وَهُمْ الَّذِينَ يَلْجَأُونَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى فِي وَقْتِ الْفَقْرِ وَالشَّدَّةِ، فَيَدْعُونَهُ وَيُعَاهِدُونَهُ عَلَى الشُّكْرِ لَهُ، وَالطَّاعَةِ لِشَرْعِهِ، إِذَا هُوَ كَشَفَ ضُرَّهُمْ، وَأَغْنَى فَقْرَهُمْ، فَإِذَا اسْتَجَابَ لَهُمْ كَفَرُوا النِّعْمَةَ، وَبَطَرُوا الْحَقَّ، وَهَضَمُوا الْحُقُوقَ .

فَأَعْقَبَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى، أَوْ أَعْقَبَهُمْ ذَلِكَ الْبُخْلُ وَتَوَلَّى الْإِعْرَاضِ، بَعْدَ الْعَهْدِ الْمُوثَّقِ بِأَوْكِدِ الْإِيمَانِ، نِفَاقًا رَاسِخًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ لِلْحِسَابِ؛ لِأَنَّهُ بَلَغَ الْمُنْتَهَى الَّذِي لَا رَجَاءَ مَعَهُ فِي التَّوْبَةِ .

وَذَكَرَ سَبَبَيْنِ هُمَا أَحْصُ صِفَاتِ الْمُنَافِقِينَ، وَأَظْهَرَ الْآيَاتِ الدَّالَّةَ عَلَى نِفَاقِهِمْ: إِخْلَافُ الْوَعْدِ، وَالْكَذِبُ...، فَكَيْفَ إِذَا كَانَ الْوَعْدُ لِلَّهِ تَعَالَى

B

=

مَعَ الْعَهْدِ وَالْقَسَمِ، وَعَبَّرَ عَنِ إِخْلَافِهِمُ الْوَعْدَ بِالْفِعْلِ الْمَاضِي؛
لِأَنَّهُ فِي حَادِثَةٍ وَقَعَتْ، وَعَبَّرَ عَنِ كَذِبِهِمْ بِصِبْغَةِ الْمُضَارِعِ الدَّالَّةِ
عَلَى الْإِسْتِمْرَارِ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ شَأْنُهُم الدَّائِمُ الَّذِي هُوَ أَحْصُ لَوَازِمِ
النَّفَاقِ .

[تفسير المنار 482،481/10 بتصرف]

وَقَدْ وَرَدَتْ فِي سَبَبِ نَزُولِ هَذِهِ الْآيَاتِ أَحَادِيثٌ لَا تَصِحُّ الْبُتَّةُ .